جمعية أنصار السنة
فــرع بلبيــس
اللجنــة العلميــة

٩

رمضان

إشراف

إعداد
اللجنة العلمية

الرسائل البغدادية إلى دعاة الأمة المحمدية

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على المبعوث رحمة للعالمين خاتم الأنبياء و لمرسلين محمد بن عبد الله , و بعد

فهذه رسالة نفيسة ذكية إلى دعاة الأمة المحمدية , من الإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت , يكنى أبا بكر , اشتهر بالخطيب البغدادي(ت٤٦٣ هـ) رحمه الله

من كتابه الممتع المؤدب للشيخ و الطالب سماه "**الجامع الاخلاق الروي و آداب السامع** " وهو من جملة ما تمت قراءته مع بعض إخواني من طلبة العلم , أسال الله عز و جل أن ينفعنا به قولا و عملا:

قال رحمه الله في مطلعه بعد الحمد لله , و الثناء علي رسول ﷺ, أما بعد :

أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ ﴿شَرَفُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ﴾[١] مَا يَحْدُو ذَا الْهِمَّةِ عَلَى تَتَبُّعِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالِاجْتِهَادِ فِي طَلَبِهَا، وَالْحِرْصِ عَلَى سَمَاعِهَا، وَالِاهْتِمَامِ بِجَمْعِهَا وَالِانْتِسَابِ إِلَيْهَا. وَلِكُلِّ عِلْمٍ طَرِيقَةٌ يَنْبَغِي لِأَهْلِهِ أَنْ يَسْلُكُوهَا، وَآلَاتٌ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذُوا بِهَا وَيَسْتَعْمِلُوهَا[٢]. وَقَدْ رَأَيْتُ خَلْقًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ[٣] يَنْتَسِبُونَ إِلَى الْحَدِيثِ، وَيَعُدُّونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَصِّصِينَ بِسَمَاعِهِ وَنَقْلِهِ، وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ مِمَّا يَدَّعُونَ، وَأَقَلُّهُمْ مَعْرِفَةً بِمَا إِلَيْهِ يَنْتَسِبُونَ، يَرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا كَتَبَ عَدَدًا قَلِيلاً مِنَ الْأَجْزَاءِ، وَاشْتَغَلَ بِالسَّمَاعِ

---

[١] مطبوع , و تمت دراسته قديما .

[٢] المقصود : أن لكل علم أصوله فلا يجيده إلا بجودة أصوله و هذا هو الفرق بين الأصلي و المزيف .

[٣] اذا كان هذا في زمن الخطيب البغدادي رحمه الله وقد مات (٤٦٣هـ) ،فكيف بأهل زماننا ؟!نسأل الله الستر والعفو والعافية ، ونعوذ بالله من شر المتكبرين المتعالين بغير أصل، وهو ما استطرد المصنف رحمه الله بنقده وكشف زيغه .

بُرْهَةً يَسِيرَةً مِنَ الدَّهْرِ، أَنَّهُ صَاحِبُ حَدِيثٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَمَّا يُجْهِدْ نَفْسَهُ وَيُتْعِبْهَا فِي طِلَابِهِ، وَلَا لَحِقَتْهُ مَشَقَّةُ الْحِفْظِ لِصُنُوفِهِ وَأَبْوَابِهِ [١]

ثم ذكر بإسناده الحسن إلى **مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَسْكَرٍ، قَالَ: " حَضَرْتُ الْمَأْمُونَ[٢] بِالْمِصِّيصَةِ[٣]، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِيَدِهِ مَحْبَرَةٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صَاحِبُ حَدِيثٍ مُنْقَطِعٌ بِهِ. قَالَ: فَوَقَفَ الْمَأْمُونُ، فَقَالَ لَهُ: إِيشِ تَحْفَظُ فِي بَابِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَسَكَتَ الرَّجُلُ، فَقَالَ الْمَأْمُونُ: نا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ، عَنْ فُلَانٍ، وَحَدَّثَنَا حَجَّاجٌ الْأَعْوَرُ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ كَذَا حَتَّى عَدَّدَ لَهُ كَذَا حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ: إِيشِ تَحْفَظُ فِي بَابِ كَذَا؟ قَالَ: فَسَكَتَ، فَسَرَدَ فِيهِ كَذَا حَدِيثًا، ثُمَّ قَالَ: أَحَدُهُمْ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، يَقُولُ: أَنَا صَاحِبُ حَدِيثٍ، أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ "[٤]**

ثم ذكر بإسناده عن الإمامين أحمد بن حنبل وأبي بكر بن أبي شيبه رحمهما الله ،بما يكشف به عوار المتشبعين بما ليس فيهم حتي اغتر بهم العوام الهوام فضربوا بهم الأئمة بحق وهم الأخيار ،

---

١ والذي يجري عليه الحديث يجري علي غيره مع رفعة علم الحديث لأنه أصل باب من أبواب الشرع ،وهو مما اختص الله به أمة محمد صلي الله عليه وسلم كما نص علي ذلك أبو حاتم الرازي وغيره .
في إشارة إلى التحذير من التساهل في إطلاق كلمة عالم وعلامه وغير ذلك مما يتلاعب به الشيطان علي صاحبه ،فليحذر المتهورون من الشباب و المتشبعون بما ليس فيهم .

٢ الخليفة العباسي المشهور (ت :٢١٨).

٣ المصيصه : بكسر وفتح الميم ، مدينة علي ساحل بحر الشام .

٤ فيه أن طريق العلم طويل وشاق ،لا تحده نهايه ،يكثر صاحبه بطلبه والصبر فيه. وفيه لزوم الشيخ والتلقي عنه

فهذا أحمد بن حنبل رحمه الله يرتضي أن يكون الرجل صاحب حديث بثلاثمائة ألف حديث حفظا ، وهذا أبو بكر بن أبي شيبه يرتضيه بعشرين ألف كذلك ، نسأل الله الستر وأن يكفينا شر أنفسنا

قال الخطيب رحمه الله: **وَهُمْ مَعَ قِلَّةِ كُتُبِهِمْ لَهُ، وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ كِبْرًا، وَأَشَدُّ الْخَلْقِ تِيهًا وَعُجْبًا، لَا يُرَاعُونَ لِشَيْخٍ حُرْمَةً، وَلَا يُوجِبُونَ لِطَالِبٍ ذِمَّةً، يَخْرِقُونَ بِالرَّاوِينَ، وَيُعَنِّفُونَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ، خِلَافَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعِلْمُ الَّذِي سَمِعُوهُ، وَضِدَّ الْوَاجِبِ مِمَّا يَلْزَمُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَقَدْ وَصَفَ أَمْثَالَهُمْ بَعْضُ السَّلَفِ**

وذكر بإسناده عن عمر بن الحارث، وحماد بن سلمة ، استنكارا لهذا الصنف[1]

ثم قال: **وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ طَلَبَةُ الْحَدِيثِ أَكْمَلَ النَّاسِ أَدَبًا، وَأَشَدَّ الْخَلْقِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمَهُمْ نَزَاهَةً وَتَدَيُّنًا، وَأَقَلَّهُمْ طَيْشًا وَغَضَبًا، لِدَوَامِ قَرْعِ أَسْمَاعِهِمْ بِالْأَخْبَارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى مَحَاسِنِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآدَابِهِ , وَسِيرَةِ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَطَرَائِقِ الْمُحَدِّثِينَ، وَمَآثِرِ الْمَاضِينَ، فَيَأْخُذُوا بِأَجْمَلِهَا وَأَحْسَنِهَا، وَيَصْدِفُوا عَنْ أَرْذَلِهَا وَأَدْوَنِهَا**

ثم ذكر بإسناده الحسن عن أبي عاصم النبيل قال: **مَنْ طَلَبَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَدْ طَلَبَ أَعْلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ.**

[1] فيه أن الطالب كلما ازداد علما ، ازداد تواضعا ودراية وفهما والعكس حاصل

وبإسناده الصحيح عن ابن شهاب الزهري **قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ أَدَبُ اللَّهِ الَّذِي أَدَّبَ بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَدَبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ، أَمَانَةُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِهِ لِيُؤَدِّيَهُ عَلَى مَا أُدِّيَ إِلَيْهِ، فَمَنْ سَمِعَ عِلْمًا فَلْيَجْعَلْهُ أَمَامَهُ حُجَّةً فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾**[1]

وساق بإسناده عن سفيان بن عيينة **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمِيزَانُ الْأَكْبَرُ، فَعَلَيْهِ تُعْرَضُ الْأَشْيَاءُ، عَلَى خُلُقِهِ وَسِيرَتِهِ وَهَدْيِهِ[2]، فَمَا وَافَقَهَا فَهُوَ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ الْبَاطِلُ﴾**[3]

وساق بإسناده عن عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: ﴿كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ﴾ قَالَ: وَبَعَثَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلاً فَنَظَرَ كَيْفَ هَدْيُ الْقَاسِمِ وَحَالُهُ "[4]

وبإسناده الحسن عن إِبْرَاهِيمِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: ﴿يَا بُنَيَّ، إِيتِ الْفُقَهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَتَعَلَّمْ مِنْهُمْ، وَخُذْ مِنْ أَدَبِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ، فَإِنَّ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ﴾

---

[1] رحم الله الإمام ابن دقيق العيد ، قال : ما قلت قولا ولا فعلت فعلا إلا أعددت له جوابا بين يدي الله عز وجل.

[2] الهَدي : الطريق والسيرة والمراد مما يذكره المصنف عن السالفين الأخيار أنهم كانوا يتعلمون السلوك والتطبيق العملي من العلماء وسيرتهم ، كما كانوا يتعلمون مسائل العلم .

[3] الرسول صلي الله عليه وسلم هو الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال لذا تقول دائما : اعرف الحق تعرف أهله ، والحق في قول الله ورسوله صلي الله عليه وسلم بفهم السالفين الأخيار من الصحابة ومن ومن تبعهم بإحسان .

[4] القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، سلسلة بيضاء نقية ، أحد فقهاء المدينة المشهورين وهو من التابعين كابن سيرين والمقصود التعلم من الشيخ العلم والهدي ولذا فالشيخ له أثره في تلميذه إيجابيا وسلبيا وقد صح عن ابن سيرين قوله إن هذا العلم بين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

وبإسناده عن عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: قَالَ لِي مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: ﴿نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ﴾

و بإسناده عن مُحَمَّدِ بْنِ نُعَيْمٍ الضَّبِّيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا الْعَنْبَرِيَّ، يَقُولُ: " عِلْمٌ بِلاَ أَدَبٍ كَنَارٍ بِلاَ حَطَبٍ، وَأَدَبٌ بِلاَ عِلْمٍ كَرُوحٍ بِلاَ جِسْمٍ، وَإِنَّمَا شَبَّهْتُ الْعِلْمَ بِالنَّارِ لِمَا رُوِّينَا عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قَالَ: مَا وَجَدْتُ لِلْعِلْمِ شَبَهًا إِلَّا النَّارَ، نَقْتَبِسُ مِنْهَا وَلَا نَنْتَقِصُ عَنْهَا "

وأخيرًا أقول :لا علم بلا أدب ، كما لا نار بلا حطب ، أو الأدب سبيل العلم ،كما أن الحطب سبيل النار والمراد كما ذكر ابن عيينه نقتبس منها ولا ننتقص عنها ، ومعناه أننا إذا لم يتحل الطالب والداعية بحلية العلم وخصال من الأدب ومحاسن الأخلاق ، فمن ؟

نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل

كتبه
صبري عبد المجيد

يا باغي الخير أقبل

فضل الشهر **بماذا نقبل**

فضل الشهر

فإن شهر رمضان من أعظم مواسم الطاعة والغفران، وَهُوَ شهر الإيقان وَشهر الْقُرْآن وَشهر الْإِحْسَان وَشهر الرضْوَان وَشهر الغفران وَشهر إغاثة اللهفان وَشهر التَّوسعَة على الضيفان وَشهر تفتح فِيهِ أَبْوَاب الْجنان ويصفد فِيهِ كل شَيْطَان وَهُوَ شهر الْأمان وَالضَّمان. (١)

فيقول الله تعالى: {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر**}[البقرة: ١٨٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: ((**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**))

وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النّيران، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ**))(٢).

وقد جعل الله فيه من أسباب الخير والسعادة وإحسان العبادة ما يجعل المؤمن ينتظر قدوم هذا الشهر العظيم لعله يخالف نفسه وهواه، ويتقرب فيه إلى مولاه. .

---

(١) بستان الواعظين (١/٢٢٦).

(٢) سنن الترمذي(٦٨٢)، وصححه الألباني.

*والعبادات في الإسلام تكاليف ابتلاء، ومقياس يكشف عن مدى تمكن الإيمان وألَقه في نفس المسلم، وهي في الوقت ذاته وسائل لتمكين ذلك الإيمان، إنها له بمثابة الماء للشجر والنبات.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أتاكم رمضانُ شهرٌ مباركٌ فرضَ اللهُ عزَّ وجلَّ عليكم صيامَه، تُفتَحُ فيه أبوابُ السماءِ، وتُغلَقُ فيه أبوابُ الجحيمِ، وتُغلُّ فيه مَرَدَةُ الشياطينِ، للهِ فيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَن حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ**". (١)

وإنه لمن فضل الله ودلائل توفيقه أنْ يُلهَم المرء استغلال كل ساعة في هذه الأيام المباركات فيما يحبه الله ويرضاه، عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺقال: "ليس من عملِ يومٍ إلا يُختمُ عليه".(٢)

فيا عباد الله هذا زمان المصالحة، وأوان التجارة الرابحة؛ فبادروا في هذا الشهر من الخير كل ممكن، فمَن لم يربح في هذا الشهر ففي أي وقت يربح! (٣)

فَالله الله عباد الله اغتنموا شهر المتاب وَمَا وَعدكُم فِيهِ من جزيل الثَّوَاب وَمن الْعَفو عَن الأوزار وَعتق الرّقاب، وَهُوَ شهر لياليه أنور من الْأَيَّام وأيامه مطهرة من دنس الآثام وصيامه أفضل الصّيام وقيامه أجل الْقيام شهر فضل الله بِهِ أمة مُحَمَّد عَلَيْهِ أفضل الصَّلاَة وَالسَّلاَم شهر جعله الله مِصْبَاح الْعَام وواسطة النظام وأشرف قَوَاعِد الْإِسْلاَم المشرف بِنور الصَّلاَة وَالصِّيَام وَالْقِيَام شهر أنزل الله فِيهِ كِتَابه وَفتح للتائبين فِيهِ أبوابه فَلاَ دُعَاء فِيهِ إِلَّا مسموع وَلَا عمل إِلَّا مَرْفُوع وَلَا خير إِلَّا مَجْمُوع وَلَا ضَرَر إِلَّا مَدْفُوع شهر السَّيِّئَات فِيهِ مغفورة والأعمال

(١) سنن النسائي (٢١٠٦)، وصححه الألباني وانظر: صحيح الجامع (١٠٠٢).
(٢)مسند أحمد (١٧٣١٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢١٩٣).
(٣) شذا الريحان في روائع رمضان (ص: ٥).

الْحَسَنَة فِيهِ موفورة وَالتَّوْبَة فِيهِ مَقْبُولَة وَالرَّحْمَة من الله لملتمسها مبذولة والمساجد بِذكر الله فِيهِ معمورة وَقُلُوب الْمُؤمنِينَ بِالتَّوْبَةِ فِيهِ مسرورة.

بماذا نقبل

١- أقبل بالتسليم لأوامر الشرع

الأصل في المسلم,أن يمتثل الأمر ويجتنب النهي ولو لم تظهر له الحكمة منهما، ففرض الله عز وجل على عباده المؤمنين صيام شهرٍ في العام وهو شهر رمضان فقال تعالى{ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** } [البقرة: **١٨٥**] وعلَّق الشرع الصيام في رمضان برؤية الهلال كما جاء في الأحاديث الصحيحة، ثم بيَّن الله سبحانه أن الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات يبدأ من الفجر إلى غروب الشمس فقال تعالى{ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**} [البقرة: **١٨٧**] كلُّ هذا وغيرُه يُربي عند المسلم الانقيادَ والتسليمَ لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يجعله يتوقف عن امتثال الأوامر حتى تظهر له الحكمة منها كما يفعل بعض المسلمين اليوم.

٢- أقبل على تقوى الله عز وجل

وهذه هي أعظم الغايات التي شرع من أجلها الصيام.

قال تعالى{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** } [البقرة: **١٨٣**] ففي هذه الآية إشارة إلى حكمة من حكم الصيام، وهي تحقيق تقوى الله؛ فإن النفس إذا تَرَكتْ ما هو مباح في الأصل وهو الأكل والشرب امتثالاً لأمر الله في نهار رمضان كان ذلك داعياً لترك المحرمات ، ولذلك

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **(من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**[١]

وقد هيأ الله لنا هذا الشهر بإضعاف كيد الشيطان وشرِّه كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**"[٢] ولابد من توطين النفس وتهيئتها في أيام الصيام لتحقيق هذه الحكمة كما أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بذلك فقال: **(والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم)**[٣]

قال ابن كثير: لِأَنَّ الصَّوْمَ فِيهِ تَزْكِيَةٌ لِلْبَدَنِ وَتَضْيِيقٌ لِمَسَالِكِ الشَّيْطَانِ.[٤]

٣- أقبل على مراقبة الله جل وعلا

ويظهر هذا المعنى جلياً في عبادة الصوم التي هي سرٌّ بين العبد وربه جل وعلا، وتدبر هذا الحديث فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ **كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي،لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**}[٥]

---

١ رواه البخاري (١٩٠٣)

٢ رواه البخاري (٣٢٧٧) واللفظ له ومسلم (١٠٧٩)

٣ رواه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١)

٤ تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٤)

٥ رواه البخاري (٧٤٩٢) ومسلم (١١٥١) واللفظ له

قال ابن بطال:قوله: (فإنه لي وأنا أجزى به) ، فالصيام وجميع الأعمال لله، لكن لما كانت الأعمال الظاهرة يشرك فيها الشيطان بالرياء وغيره، وكان الصيام لا يطلع عليه أحد إلا الله، فيثيبه عليه على قدر خلوصه لوجهه، جاز أن يضيفه تعالى إلى نفسه. قال الطبري: ألا ترى قوله في الحديث: (يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)[١]

قال ابن رجب أيضاً:من صام عن شهواته في الدنيا أدركها غدا في الجنة ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}[العنكبوت: ٥].[٢]

٤- أقبل على الجود والكرم وسخاء النفس

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ"[٣]

قال ابن رجب :وفي تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة:

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه.

ومنها إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فينال المعين لهم مثل أجرهم كما أن من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله فقط غزا وفي حديث زيد بن خالد

---

١ شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٩)

٢ لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٠)

٣ رواه البخاري (٦) واللفظ له ومسلم (٢٣٠٨)

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء"

ومنها: أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة غرفا الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها من ظهورها قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام" وهذه الخصال كلها تكون في رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام فإنه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث.

٥- أقبل على ضبط النفس

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ }[١]

قال الشيخ ابن عثيمين:

وفي هذا الحديث إرشادٌ للصَّائِمِ إذا سابَّه أحدٌ أو قَاتله أن لا يُقابِلهُ بالمثْلِ لِئَلا يزدادَ السِّبابُ والقِتَالُ، وأن لا يَضْعُف أمامه بالسكوت، بل يخبره بأنه صائم إشارة إلى أنه لن يقابله بالمثل احتراماً للصوم لا عجزا عن الأخذ بالثأر، وحينئذ ينقطع السباب والقتال: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ - وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**[٢]

---

١ رواه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له ومسلم (١١٥١)

٢ مجالس شهر رمضان (ص: ١٣)

قال أبو هريرة رضي الله عنه:إذا كنت صائمًا، فلا تساب ولا تجهل، فإن جهل عليك فقل: إنى صائم.[١]

وهذه دعوة غير مباشرة لضبط النفس والكف عن الأذى،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"**[٢]

٦- أقبل على الشعور بآلام ومشاكل الآخرين من المسلمين

قال ابن رجب:وسُئل بعضُ السلف: لِمَ شُرِع الصيام؟ قال: ليذوق الغنيُّ طعم الجوع فلا ينسى الجائع وهذا من بعض حِكَم الصوم وفوائده.[٣]

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.[٤]

إن تشبيك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه بعضها ببعض تدل على العلاقة التي يريدها ربنا سبحانه وتعالى منا، فرمضان يربينا على هذه العلاقة، وبدون هذه العلاقة لن يكون نصر ولن يكون تمكين.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.وفي رواية{ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ

---

١ شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٨)

٢ رواه البخاري (١٩٠٣)

٣ لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٦٨)

٤ رواه البخاري (٢٤٤٦) واللفظ له ومسلم (٢٥٨٥)

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ،} قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"[١]

١ رواه مسلم (١٠١٧)

الفرار إلى الله .. حقيقته وثمراته

أسباب اختيار الموضوع مقتضيات الفرار ثمرات الفرار
بعض صور الفرار ماذا ننتظر؟

مقدمة: إن الناظر اليوم بعين البصر والبصيرة في واقع الأمة الإسلامية وما حلَّ بكثير من أبنائها من بُعدٍ عن الله عز وجل ، ونسيانٍ للآخرة ، وانغماسٍ في الملذات ، وإقبالٍ على الدنيا واللهث وراءها والانغماس في متاعها ، مما أدى إلى انتشار كثير من الموبقات والفواحش المهلكات في مجتمعات المسلمين ، الأمر الذي يستدعي من الغيور على دينه الذي يرجو النجاة لنفسه ولأبناء أمته أن يصرخ فيهم بأعلى صوته قائلا : {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: ٥٠]

أسباب ودوافع الكلام عن هذا الموضوع

- انفتاح الدنيا الشديد ، وطغيان الجانب المادي على حياة أكثر الناس وما ترتب على ذلك من لهث وتكالب على حطامها دون تمييز بين حلال وحرام، وطيب وخبيث.

- الغفلة الشديدة عن الآخرة والغاية التي من أجلها خلقنا ، وتحولت هذه الدنيا الفانية من كونها خادمة ومملوكة إلى أن تكون مالكة مخدومة.

- ظهور المنكرات وانتشار الفساد بشكل ينذر بالخطر والعقوبة إن لم يتدارك الله عز وجل عباده ويرحمهم بالفرار إليه.

- الغربة الشديدة لدين الله في واقع كثير من الناس ، فلابد من التواصي بالحق والصبر، لعل الله عز وجل ، أن يكشف الكربة ، ويثبت قلوب عباده المؤمنين على دينه.

- التأكيد على الرجوع إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبينا محمد ﷺ في التماس سبل النجاة من الفتن والمهلكات ، ولفت الأنظار إليهما بعد أن ابتعد كثير من الناس عنهما.

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِي لَكُمْ مِنهُ نَذِيرٌ مُبِين} [الذاريات: ٥٠]

لماذا جاء التعبير بلفظ ((ففروا)) ؟

والتعبير بلفظ الفرار عجيب حقا. وهو يوحي بالأثقال والقيود والأغلال ، التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض، وتثقلها عن الانطلاق، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال. وبخاصة أثقال الرزق والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود. ومن ثَمَّ يجيء الهتاف قويا للانطلاق والتملص والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود! الفرار إلى الله وحده منزها عن كل شريك.[١]

- معنى الفرار وحقيقته

الهروب من شيءٍ إلى شيء، من شيءٍ مخيف إلى شيءٍ آمن، من شيءٍ مزعج إلى شيءٍ مُطَمْئِن.

ولقد حدد الله لك الوجهة ورسم لك الطريق فقال سبحانه:{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ}، نعم إنه الفرار إلى الله ، تفر إلى الله لأن خلفك عدوك إبليس يسعى خلفك جاهداً بكل ما أوتي من قوة ليجعلك من أصحاب السعير أخبرك بذلك ربك وحبيبك يوم أن قال : {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر: ٦]

فرارٌ من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً ،،، ومن الكسل إلى التشمير جِدَّاً وعزماً

---

[١] في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٨٦)

فرارٌ من الضيق إلى السَعَةِ ثقةً ورجاء ، أن تهرب من ضيق الصدر بالهم والغم والحزن والمخاوف التي تعتري الإنسان في هذه الدار, إلى سعة الإيمان وأُفُقِ الإسلام ورحابة طاعة الرحمن.

فرارٌ من الخوف إلى الطمأنينة، من هموم الدنيا إلى التطلع للآخرة.

فالمؤمن يفر من ضيقٍ يعتريه، من ضيق الهم، وضيق الغم، وضيق الحزن, إلى سعة فضاء الثقة بالله تبارك وتعالى، وصدق التوكل عليه، وحسن الرجاء لجميل صنعه به، وتوقع المرجو من لطفه وبره.

وَلَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ... ذَرْعاً وعندَ اللهِ منها المخرَجُ

ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حلقاتُها ... فُرِجَتْ وكانَ يظنُّها لا تُفرجُ

- أسباب تحديد جهة الفرار

أيها التائه ... أيها المتحير ... أيها المتباطئ ... أيها الخائف ... أيها العاصي ... أيها المُثْقل بالذنوب والأوزار ... أيها الأسير لشهواته المكبل بالقيود والأغلال ... يا مّن أسره الشيطان ولا يستطيع الخلاص والفرار .... يا من ضاق صدره وأحاطت به الهموم والأحزان : {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ }

- لأنك لن تجد أعظم وأقوى من الله في حفظك من أعدائك

فالإنسان الضعيف لابد أن يلجأ فيما يعرض له من أمور إلى جهة يراها قوية وقادرة على أن تحميه أو توفر له الأمن والاطمئنان، فإلى من يتجه، وإلى مَن يفوض أموره ؟ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥]

ولا ملجأ للعبد منه سبحانه إلا إليه فعَنْ عَائِشَةَ ﵂ ، أنها سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول وهو ساجد : ((اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)).[١]

- لن تجد أكرم وأجود من الله

يا ابن آدم الكل يريدك لنفسه، والله عز وجل يريدك لك فانتبه لهذا المعنى !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)).[٢]

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ((يَا ابْنَ آدَمَ ، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ ، وَامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ)).[٣]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ)).[٤] لأنه الكريم الجواد.

- لن تجد أحلم وأرحم من الله

---

[١] رواه مسلم (٤٨٦)

[٢] رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥)

[٣] رواه أحمد (٣/ ٤٧٨) من حديث رجل من الصحابة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٠٠)

[٤] رواه مسلم (٢٦٨٧)

أما الآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة ومعلومة ، وكذلك الأحاديث وإليك بعضا منها:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)). قُلْنَا: لَا، وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)).[١]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ)).[٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)).[٣]

ومعنى الحديث : أي ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك.

---

[١] رواه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤)

[٢] رواه مسلم (٢٥٧٧)

[٣] رواه مسلم (٢٧٥٨)

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: ((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)).[1]

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الذاريات: ٥٠]

- ولكنّ الفرار يقتضي أمورا :

- التأهب الاستعداد

قال تعالى {وَأَعِدُّوا} {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ} {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}

- تأهبوا فإن الأجل قريب.....شمروا فإن الأمر جد

- تزودوا فإن السفر بعيد.....أكثروا الزاد فإن المسافة بعيدة

-أخلصوا النية فإن الناقد بصير.....خففوا الأثقال فإن في الطريق عقبةً كؤود

- جددوا السفينة فإن البحر عميق

- الفرار يقتضي القوة والعزم

كلمة الفرار تحمل في طياتها معنى الجدية والعزيمة ، والله عزَّ وجل يأمرنا أن نتلقَّى أوامره بالعزم والجد قال تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[البقرة الآية: ٩٣]

وقال تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾[الأعراف الآية: ١٤٥] وقال ليحيي عليه السلام ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[مريم الآية: ١٢]

أي بجدٍ واجتهادٍ وعزمٍ, لا كمن يأخذ ما أُمِرَ به بترددٍ وفتور.

- الفرار إلى الله يقتضي المبادرة والمسارعة والمسابقة

---

[1] رواه مسلم (٢٧٥٩)

قال رَسُولُ اللهِ ﷺ ((بَادِرُوا)).[١] إذا هَمَمْت فبادر وَإِذا عزمت فثابر وَاعْلَم أَنه لَا يدْرك المفاخر من رَضِي بالصف الآخر.

وقال الله جل جلاله {وَسَارِعُوا} وقال سبحانه {سَابِقُوا} وقال {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} فإِن لم تكن أسدا فِي الْعَزْم وَلَا غزالا فِي السَّبق فَلاَ تتثعلب.

-الفرار يقتضي عدم الالتفات لغير الله

هذا الذي فرَّ إلى الله لا تعنيه الأشكال، لا تعنيه المظاهر، لا تعنيه الألقاب، لا تعنيه المراتب العالية , التي يعظمها الناس , ولكن الذي يعنيه الاتصال بالله ، الإخلاص لله ، يعنيه العمل الصالح الذي يرضي الله ، يعنيه الشوق إلى الله ، لأن فراره فرار داخلي، فرَّ من نفسه إلى الله، من حظوظه إلى الله، من همومه إلى الله ، من رغباته إلى الله، من حركاته وسكناته إلى الله ولسانه حاله {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي}[العنكبوت: ٢٦] {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ }[الصافات: ٩٩]

-أنواع الفرار:

الفرار نوعان : فرار السعداء وفرار الأشقياء

أما فرار السُعداء فرارٌ من الدنيا إلى الله، فرار السعداء الفرار منه إليه سبحانه.

قال ابن القيم رحمه الله : ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين: منزلة الفرار.[٢]

قال القرطبي رحمه الله : قال الله تعالى: لنبيه ﷺ قل لهم يا محمد، أي قل لقومك: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) أي فروا من معاصيه إلى طاعته.

---

[١] رواه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

[٢] مدارج السالكين (١/ ٤٦٦)

وقال الإمام الطبري رحمه الله : اهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته.[١]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله : أَيِ: الْجَئُوا إِلَيْهِ، وَاعْتَمِدُوا فِي أُمُورِكُمْ عَلَيْهِ.[٢]

-وأما فرار الأشقياء

فرارٌ منه لا إليه، فرارٌ منه إلى الدنيا ، إلى المعاصي ، إلى الشهوات ، إلى الظلمات ، إلى المهلكات قال تعالى واصفا حالهم :{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } [المدثر: ٤٩ - ٥١]

-ثمرات الفرار إلى الله تعالى

١- أنه سبب لرضوان الله- سبحانه وتعالى- والفوز بالجنة والنجاة من النار .

٢- خير ما يعين على ترك المعاصي والبعد عن الشبهات .

٣- هو سبب في طهارة القلوب وصفاء النفوس.

٤- سبب في البعد عن التكالب على حطام الدنيا واللهث خلف شهواتها والإقبال على الآخرة.

ـ بعض النماذج والصور للفرار إلى الله

الفرار إليه بالتوبة الصادقة ومثال ذلك فرار الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك قال تعالى في شأنهم : {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا

---

[١] تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٩)

[٢] تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٤)

رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: ١١٨]

الفرار إليه عند الفتن ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ)).[1]

لماذا نؤخر الفرار؟

يا ابن آدم فرَّ إلى ربك في الدنيا راغبا مختارا قبل أن يأتي يوم تفرُّ إليه وأنت مضطرٌ إليه – وليس لك إلا هو – ولكن لا ينفعك الفرار حينها لأنك قد فررت منه وأعرضت عنه في الدنيا قال تعالى : { يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ } [القيامة: ١٠ – ١٢] وقال جل شأنه : {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} [غافر: ٣٣]

وقال تعالى :{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ } [الشورى: ٤٧]

يفرُّ الإنسان في ذلك الموقف من كل من يمتون له بصلة في هذه الحياة يفر حتى من أبنائه وفلذات كبده، ولكن هل ينفع هذا الفرار إن لم يكن الإنسان من الفارين إلى الله في هذه الحياة الدنيا يقول سبحانه في كتابه العزيز: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } [عبس: ٣٤ – ٣٧]

[1] رواه البخاري (٣٣٠٠)

قال عبد الله بن طاهر الأبهري: يفرُّ منهم لما تبيَّن له من عجزهم وقلة حيلتهم، إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى.[١]

فلماذا عباد الله نؤخر الفرار إلى العزيز الجبار؟ لماذا نؤخر الفرار إلى الواحد القهار؟

هل نحن مغترون بصحتنا وقوتنا التي هي إلى ضعف وزوال؟ أم نحن مغترون بأموالنا التي لن يلحقنا منها شيء إذا متنا؟ أم نحن عالمون بموعد موتنا وانتقالنا عن هذه الحياة؟ لهذا نحن نؤخر الفرار إلى الله إلى قرب هذا الموعد، هذه أسئلة لابد أن يسألها المسلم لنفسه، ولابد أن يجد لها الإجابات المقنعة إن كان حقاً يريد مرضاة الله سبحانه وإن كان حقاً يريد النجاة من عذاب الله وعقابه.

فتعالوا لنعلنها صريحة واضحة تحمل كل معاني الفرار إلى الله ظاهرا وباطنا : ((اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ)).[٢]

{ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ** } اللهم خذ بنواصينا إليك أخذ الكرام عليك ولا تكلنا لأنفسنا طرفة عين.

---

[١] تفسير القرطبي (١٩/ ٢٢٥)

[٢] رواه البخاري (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما

الوقفات التربوية مع العشر الليالي الذهبية

عناصر الخطبة:

مقدمة **العناية بالعشر** **الاعتكاف**

ليلة القدر **إلى مَن يشتكي من الحرمان**

مقدمة: لقد قارب الضيف الكريم أن يفارقنا ، بعد أن جعل أرواح المؤمنين تخفق إيمانا وخشية وتوبة وخشوعا ، وأكسبها اخباتا وذلة وخضوعا ، لرب كريم رحيم غفور ، تعاظمت فيه مننه وعطاياه ، وتكاثرت في أيامه منحه وهداياه ، فالموفق من قَبِل الهدايا وتعَرَّض للنفحات والعطايا ، والمخذول من انشغل عن تلك العطايا بفعل الذنوب والرزايا ، ومع ذلك فلا زالت الفرص قائمة والأبواب مُشْرَعة ، ليستدرك المتخلف ويلتحق المحروم ويستيقظ الغافل، **وقد دخلت العشر الأواخر** بما تحمله من مفاخر ، فهل من مشمّر على ساعد الجد والاجتهاد ؟ ، لاستثمار ما بقي من موسم التحصيل والإمداد ، ليملأ خزائنه بكل ما لذ وطاب ، من موجبات الأجر والثواب ، ليختم له بالعزة والكرامة وينجو من الحسرة والندامة .

معا نقف عدة وقفات مع عشرٍ كلها نفحات وبركات نبحث سويا عن الرُّقي في الدرجات وعن الرضا من رب الأرض والسماوات ، فأعط هذه العشر حصتها من التكريم ، لتقابلك تكريما بتكريم ، فليكن لك حظ وافر منها ، مقتديا بخير الخلق ﷺ الذي كان إذا دخل العشر الأواخر شدّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله.

-**الوقفة الأولى عناية النبي ﷺ واجتهاده في تلك العشر** وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، **عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ.[١]

وقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.[٢]

وقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْلِطُ الْعِشْرِينَ بِصَلاَةٍ وَنَوْمٍ ، فَإِذَا كَانَ الْعَشْرُ شَمَّرَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ .[٣]

قال ابن رجب رحمه الله : كان النبي ﷺ يخصّ العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر.[٤]

ـ صور من اجتهاده ﷺ في العشر الأخير

١ـ إحياء الليل :

نعم إحياء الليل. بماذا ؟ ليس بالسهر اللاهي ، ولا الحديث البالي، أو اللعب والتسالي ، ولكنه إحياء بالعبادة والصلاة وطول القيام وقراءة القرآن : ((يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا)).[٥]

---

[١] رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤) واللفظ له

[٢] رواه مسلم (١١٧٥)

[٣] رواه أحمد (٦/ ١٤٦)

[٤] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٤)

[٥] رواه البخاري (٣٥٦٩) ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها

وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ، وَمَا صَامَ شَهْرًا مُتَتَابِعًا إِلَّا رَمَضَانَ.[١]

وعند النسائي عنها قالت : لَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَّاحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلاً غَيْرَ رَمَضَانَ.[٢]

فيحمل قولها ((أحيا الليل)) على أنه يقوم أغلب الليل ، أو يكون المعنى أنه يقوم الليل كله لكن يتخلل ذلك العشاء والسحور وغيرهما فيكون المراد أنه يحيي معظم الليل.

فأحيي ليلَك أيها العبد بالتملق بين يدي ربك يغفر لك ذنبك ويستر عيبك ويحيي قلبك

قال ابن القيم رحمه الله : إِذا طلعَ نجمُ الهمة فِي ظلام ليلِ البطالة وَردفهُ قمرُ الْعَزِيمَة أشرقتْ أَرض الْقلب بِنور رَبهَا.[٣]

يا رفقة الليل طاب السيرُ فاغتنموا ... المسرى فمن نام طولَ الليل لم يصلِ[٤]

يا من يتحجج بكثرة المشاغل اسمع ما يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سئل عن قلة نومه : مالي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي.[٥]

٢ـ إيقاظ الأهل : ((**وأيقظ أهله**))

---

[١] رواه مسلم (٧٤٦)

[٢] رواه النسائي (١٣٣٧)

[٣] الفوائد لابن القيم (ص: ٥١)

[٤] بدائع الفوائد (٣/ ٢٣٢)

[٥] إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٠)

وهذه رسالة تربوية إصلاحية ، تؤكد عظم دور الأب والراعي في نصح أهله ، وتربيتهم على الخير ، وأنه مسئول عن ذلك ، وأنه ما ينبغي الاستئثار بالخير دونهم ، بل يشرك أهله وبنيه في ذلك الفضل الكبير ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)).[١]

فهذا رسول الله ﷺ كان حريصا على إيقاظ أهله ليشركوه في الخير ، عَنْ عَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ.[٢]

وفي لفظ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يُطِيقُ الصَّلاَةَ.[٣]

ومن المعلوم أنه ﷺ كان يوقظ أهله في سائر السنة ، ولكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل ،

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ لَيْلَةً، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتْنَةِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ؟)).[٤]

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَنَا رَاقِدَةٌ مُعْتَرِضَةٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيْقَظَنِي فَأَوْتَرْتُ.[٥]

---

[١] رواه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[٢] رواه الترمذي (٧٩٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٢٩٥)

[٣] رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٢٥)

[٤] رواه البخاري (١١٢٦)

[٥] رواه البخاري (٥١٢) ومسلم (٥١٢)

وعن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلَةً، فَقَالَ: ((أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟)).[١]

لكن إيقاظه ﷺ لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر السنة.

وحث ﷺ الزوجين على أن يعين بعضهما الآخر على القيام ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ، نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)).[٢]

قال سفيان الثوري رحمه الله : أحبُّ إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك.[٣]

٣ـ الجدّ والاجتهاد

والجِدّ هو: بذل الجهد في فعل الطاعات ، وذلك يستدعي أن يأتي الطاعة بنشاط ورغبة، وصدق ومحبة، ويستدعي أن يبعد عن نفسه الكسل والخمول والتثاقل ، فمن جدَّ وجد ومَن زرع حصد وليس مَن سهر وتعب كمن رقد ، ولا يدرك البطَّال منازل الأبطال.

أوْرَدَهَا سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ ... مَا هكَذَا يا سعدُ تُورَدُ الإبل

---

[١] رواه البخاري (١١٢٧)

[٢] رواه أبو داود (١٣٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٥٧)

[٣] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٦)

فالأمر جدّ وما هو بالهزل قال تعالى { خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ } [البقرة: ٦٣] وقال سبحانه {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} [الأعراف: ١٤٥] وقال {خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢]

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ)).[١]

٤ـ شدَّ المئزر :

ومعنى (شد المئزر) – قيل هو الاجتهاد في العبادات زيادة على عادته ﷺ في غيره ومعناه التشمير في العبادات. يقال شددت لهذا الأمر مئزري أي تشمرت له وتفرغت.

– وقيل هو كناية عن اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات.[٢]

قومٌ إذا حاربُوا شدّوا مآزرَهُم دونَ النّساء ولَوْ باتَتْ بأطْهارِ[٣]

وهذه رسالة تربوية مهمة ألا وهي : ترك المباح لتحصيل الأرباح

قال ابن رجب رحمه الله :

والمعنى في ذلك: أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر، لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل، خصوصا في الليالي المرجو فيها ليلة

---

[١] رواه مسلم (٢٦٦٤)

[٢] شرح النووي على مسلم (٨/ ٧١)

[٣] ديوان الأخطل (ص: ١١٠)

القدر، فمن ههنا كان النبي ﷺ يصيب من أهله في العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه، ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر.[١]

- فماذا نقول للمغموس في الشهوات ولا يعبأ بفوات الفرص وضياع المهمات

الاعتكاف والخلوة بالحبيب

الاعتكاف الدافئ الذي يورثك اليقين ، وتزكو به النفس ، وتتهذب الأخلاق ، وهو جزء من الجد المضاعف، والاهتمام بالعشر الأواخر الفاضلات ، **عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ.[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانٍ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا.[٣]

وسبب اعتكافه ﷺ

قال ابن رجب رحمه الله : إنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذا العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لأشغاله ، وتفريغا لليالية، وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه.[٤]

ـ انقطع لربك ، فرّغ نفسك لربك ((فإذا فرغت فانصب))

قال الزهري رحمه الله : عجبا للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله!.[٥]

---

[١] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٨٦)

[٢] رواه البخاري (٢٠٢٦) ومسلم (١١٧٢)

[٣] رواه البخاري (٢٠٤٤)

[٤] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩٠)

[٥] فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٨٥)

معنى الاعتكاف وحقيقته

قال ابن رجب رحمه الله :

معنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال كان بعضهم لا يزال منفردا في بيته خاليا بربه فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني.[١]

المحب الصادق في المحبة يعكف قلبه على مَن يحبه

قال ابن تيمية رحمه الله :

لما كان المرءُ لا يَلزم ويواظب إلا من يحبُّه ويعظمُه؛ كما كان المشركون يعكُفون على أصنامهم وتماثيلهم, ويعكُف أهلُ الشهوات على شهواتهم؛ شرع الله سبحانه لأهل الإيمان أن يعكُفوا على ربهم سبحانه وتعالى.[٢]

وقال ابن القيم رحمه الله :

من لم يَعْكُف قلبُه على الله وَحده عكف على التماثيل المتنوعة كَمَا قَالَ إِمَامُ الحنفاء لِقَوْمِهِ {مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} فاقتسم هُوَ وَقَومه حَقِيقَةَ العكوف فَكَانَ حَظّ قومه العكوف على التماثيل وَكَانَ حَظُّه العكوف على الربِّ الْجَلِيل.[٣]

- إنها ليلة القدر ليلةٌ ذات مقدار وقدر

نعم إنها ليلة القدر التي من قامها إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

---

[١] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩٠)

[٢] شرح عمدة الفقه (٢/ ٧٠٧)

[٣] الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٦)

- إنها ليلة القدر التي إن وُفقتَ لقيامها كُتب لك كأنك عبدتَ الله أكثر من (٨٣) عاما.

- إنها ليلة القدر ، ليلة عتق و مباهاة ، وخدمة و مناجاة ، و قربة و مصافاة.

- إنها ليلة القدر التي أنزل الله فيها كتابه {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١]

- إنها الليلة المباركة {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدخان: ٣]

- أنها الليلة المشهودة { تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} [القدر: ٤]

أَيْ: يَكْثُرُ تَنزلُ الْمَلاَئِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلاَئِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ.[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ((إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى)).[٢]

- إنها ليلة الأمن والسلام {سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥]

فهِيَ سَالِمَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَذًى ، وتُسلمُ الْمَلاَئِكَةُ فيها عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.[٣]

- إنها ليلة تقدير الآجال والأرزاق{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: ٤]

---

[١] تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٤)

[٢] رواه أحمد (٢/ ٥١٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٦١)

[٣] تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٤)

أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السَّنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق ، وما يكون فيها إلى آخرها ، كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير.[١]

ليلة القدر والدعاء

قال سفيان الثوري رحمه الله :الدعاء في تلك الليلة (ليلة القدر) أحبّ إليّ من الصلاة ، فإن جمع بين الصلاة والتلاوة والدعاء كان أفضل.[٢]

فيستحب الإكثار من الدعاء في هذه الليلة وخاصة ما ورد عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها قالت : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ : ((قُولِي : اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّى)).[٣]

قال ابن رجب رحمه الله : العفو من أسماء الله تعالى، وهو يتجاوز عن سيئات عباده ، الماحي لآثارها عنهم ، وهو يُحبُ العفو ؛ فيحب أن يعفو عن عباده ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض.

قال : وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر .

إن كنت لا أصلح للقرب ... فشأنك عفوٌ عن الذنب.[٤]

---

[١] تفسير ابن كثير (٨/ ٤٤٤)

[٢] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٤)

[٣] رواه الترمذي (٣٥١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨١٤)

[٤] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٦)

لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف: ٨٨] **لبرز لهم التوقيع عليها**: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢].[١]

ختامه مسك

الأعمال بالخواتيم ، السباق أوشك على الانتهاء والعبرة بالنهايات

اجتهد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو رفقت بنفسك بعض الرفق ؟! فقال : إنَّ الخيل إذا أُرسلتْ فقاربتْ رأس مجراها أخرجتْ جميعَ ما عندها ، والذي بقيَ مِن أَجَلى أقلّ من ذلك ، فلم يزل على ذلك حتى مات.

وَكَانَ الحسن البصري رحمه الله يَقول فِي مَوْعِظَتِهِ : المُبادرَةَ المبادرَةَ فَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْفَاسُ لَوْ حُبِسَت انْقَطَعَتْ عَنْكُمْ أَعْمَالُكُمُ الَّتِي تَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجل ، رحم الله امرأ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ وَبَكَى عَلَى عَدَدِ ذُنُوبِهِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ((إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عدا)) يَعْنِي الْأَنْفَاسَ. وآخِرُ الْعَدَدِ خُرُوجُ نَفْسِكَ ، آخِرُ الْعَدَدِ فِرَاقُ أَهْلِكَ ، آخِرُ الْعَدَدِ دُخُولُكَ فِي قبرك.[٢]

ـ يا مَن يشتكي من الحرمان : تخلَّص لتصلح

---

[١] لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٠٥)

[٢] إحياء علوم الدين (٤/ ٤٦٠)

رَبِحَ الْقَوْمُ وَخَسِرْتَ , وَسَارُوا إِلَى الْمَحْبُوبِ وَمَا سِرْتَ , وَأُجِيرُوا مِنَ اللَّوْمِ وَمَا أُجِرْتَ , ذُنُوبُكَ طَرَدَتْكَ عَنْهُمْ , وَخَطَايَاكَ أَبْعَدَتْكَ مِنْهُمْ , قُمْ فِي اللَّيْلِ تَرَى تِلْكَ الرُّفْقَةَ , وَاسْلُكْ طَرِيقَتَهُمْ وَإِنْ بَعُدَتِ الشُّقَّةُ , وَابْكِ عَلَى تَأَخُّرِكَ وَاحْذَرِ الْفُرْقَةَ.[1]

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَنْ صَفَى صُفِيَ لَهُ وَمَنْ كَدَرَ كُدِرَ عَلَيْهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي ليله كوفىء فِي نَهَارِهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَاره كوفيء فِي لَيْلِهِ.[2]

قَالَ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا يُؤَهِّلُ الْمُلُوكُ لِلْخَلْوَةِ بِهِمْ إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ فِي وُدِّهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمُخَالَفَةِ فَلاَ يُؤَهِّلُونَهُ وَلَا يَرْضَوْنَهُ لِذَلِكَ.

قِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا نَسْتَطِيعُ قِيَامَ اللَّيْلِ، قَالَ: أَبْعَدَتْكُمْ ذُنُوبُكُمْ.

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَعْجَزَنَا قِيَامُ اللَّيْلِ، قَالَ: قَيَّدَتْكُمْ خَطَايَاكُمْ. وَقَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُحْرَمُ بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ.

وَقَالَ الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ : أَذْنَبْت ذَنْبًا فَحُرِمْت بِهِ قِيَامَ اللَّيْلِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِذَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ فَاعْلَمْ أَنَّك مَحْرُومٌ مُكَبَّلٌ كَبَّلَتْك خَطِيئَتُك.[3]

---

[1] التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٢٠)

[2] ذم الهوى (ص: ١٨٥)

[3] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٠٤)

وسائل وثمرات المداومة على عمل الصالحات

عناصر الخطبة

مقدمة **فضل المداومة على الأعمال الصالحة**

الوسائل المعينة على المداومة **ثمرات المداومة**

مقدمة: نحن في هذه الحياة نسير إلى ربِّنا، فكل يوم يقرِّبنا من الآخرة، ويبعدنا من الدنيا ، فما أحوَجَنا في سيرنا إلى ربنا أن نقطع مراحل الطريق في سيرٍ متواصل غير منقطع، من غير كلل ولا ملل! ولا يكون ذلك إلا إذا استحضرنا طول الطريق، ولم نستنفذ الجهد كله في بعض مراحل الطريق، فاستبقَيْنا جهدنا لبقية الطريق ، المهم أن نلزم الطريق ونواصل السير ولو كان فيه ضعف

قيل لِلْحسنِ البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : سبقَنَا الْقَوْمُ على خيلٍ دُهْم وَنحن على حُمُرٍ مُعَقَّرةٍ ؟ فَقَالَ : إِن كنتَ على طريقهم فَمَا أسْرعَ اللحاق بهم.[1]

- فضل المداومة على الأعمال الصالحة

المداومة على الطاعات لها فضلٌ عظيم وخصائصُ جليلة منها:

- هي أحب الأعمال إلى الله

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ: قال رَسُول اللهِ ﷺ : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ)).[2]

---

[1] الفوائد لابن القيم (ص: ٤٣)

[2] رواه مسلم (٧٨٢)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: ((أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ)).[١]

وقال الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ))، قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ.[٢]

قال النووي رحمه الله : فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع وإنما كان القليل الدائم خيرا من الكثير المنقطع لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافا كثيرة.[٣]

- المداومة على الأعمال الصالحة من صفات النبي ﷺ

قال عَلْقَمَة ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْتَطِيعُ.[٤]

وقال مسروق رحمه الله : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَيُّ العَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ؟ قَالَتْ: الدَّائِمُ.[٥]

---

[١] رواه مسلم (٧٨٢)

[٢] رواه مسلم (٧٨٣)

[٣] شرح النووي على مسلم (٦/ ٧١)

[٤] رواه مسلم (٧٨٣)

[٥] رواه البخاري (٦٤٦١)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.[1]

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ.[2]

- المداومة على الأعمال الصالحة من خصائص عباد الله المؤمنين

قال تعالى مادحا أهل الإيمان : { الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ } [المعارج: **٢٣**]

وقال سبحانه في مدحهم : {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج: **٣٤**]

فالمحافظة على الطاعات من صفات عباد الله المؤمنين فهم دائما في طاعة لربهم

- وهي وصية من الله عز وجل لخير خلقه الأنبياء

قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ وكل عباده المؤمنين : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر: **٩٩**]

وأنطق اللهُ عيسى في المهد بهذه الكلمات العظيمة : {وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} [مريم: **٣١**]

- في المداومة على الأعمال الصالحة القيام بحقيقة العبودية

لأن الأصل فيما أمر الله به أن يفعل على الدوام ويحافظ عليه، ففي المحافظة تطبيق للأوامر وعمل بالنصوص وتعظيم لها وتعظيم لشريعة الله.

- في المداومة على العمل الصالح إغاظة للشيطان

لأن عدو الله تعالى يحب تثبيط المسلم عن العمل الصالح، فإذا رآه يداوم عليه ويستمر فيه كان ذلك سببًا لغيظه.

- الوسائل المعينة على المداومة على العمل الصالح

---

[1] رواه البخاري (٦٤٦٢)

[2] رواه مسلم (٧٨٢)

هناك وسائل وأسبابٌ تُعين على المداومة على الطاعات؛ منها:

- معرفة ثمرات المداومة

فمعرفة ثمرات الشيء والإحاطةُ بفوائده تُعين على الثبات عليه والتمسُّك به؛ كما قال الخَضِر لموسى عليهما السلام: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨]

قال السعدي رحمه الله: أي كيف تَصبر على أمرٍ ما أحَطتَ بباطنِه وظاهره، ولا علمتَ المقصودَ منه ومآلَه؟.[1]

- الخوف من سوء الخاتمة

قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

قال ابن رجب رحمه الله: وفي الجملة: فالخواتيم ميراثُ السوابق، فكل ذلك سبق في الكتابِ السابق، ومن هنا كان يَشتدُّ خوف السلف من سوء الخاتمة، ومنهم مَن كان يَقلقُ من ذِكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلَّقة بالخواتيم؛ يقولون: بماذا يُختم لنا؟ وقلوب المقرَّبين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبَق لنا؟.[2]

- العزيمة الصادقة والثبات عليها

يحدثنا عن أهمية ذلك ابن القيم رحمه الله فيقول:

---

[1] تفسير السعدي (ص: ٤٨٢)

[2] جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٤)

كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص. فإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل.[١] ولهذا جاء في دعاء النبي ﷺ : ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ)).[٢]

يقول ابن القيم رحمه الله : وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أُتي العبد إلا من تضييعهما ، أو تضييع أحدهما ، فما أُتي أحدٌ إلا من باب العجلة والطيش ، واستفزاز البداءآت له ، أو من باب التهاون والتماوت ، وتضييع الفرصة بعد مواتاتها ، فإذا حصل الثبات أولاً، والعزيمة ثانياً ؛ أفلح كلَّ الفلاح.[٣]

- الاقتصاد في العبادة

فلا يثقل العبد على النفس بأعمال تؤدي إلى المشقة، وتفضي إلى السآمة والملل من العبادة فقد جاء في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: ((أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)). وَقَالَ: ((اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ)).[٤]

---

١ طريق الهجرتين (ص: ٢٦٦)

٢ رواه أحمد (٤/ ١٢٢) والطبراني (٧١٣٥) وجود إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٦٩٥)

٣ مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٢)

٤ رواه البخاري (٦٤٥٦) ومسلم (٧٨٣)

وحذَّر ﷺ من الغلوِّ والتشدُّد فجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)).[1]

فعلى المرء المسلم أن تكون عبادته قصداً لا إفراط ولا تفريط ، بل تكون على وفق سنة رسول الله ﷺ ؛ فقد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : ((إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي ، فَقَدْ أَفْلَحَ ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَدْ هَلَكَ)).[2]

يقول ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي اجْتِهَادٍ بِاقْتِصَادٍ، وَإِخْلاَصٍ مَقْرُونٍ بِالاِتِّبَاعِ. كَمَا قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: اقْتِصَادٌ فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، خَيْرٌ مِنَ اجْتِهَادٍ فِي خِلاَفِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ، فَاحْرِصُوا أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُكُمْ عَلَى مِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ وَسُنَّتِهِمْ.[3]

و لما دخل ﷺ المسجد رأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين، فَقَالَ: ((مَا هَذَا الحَبْلُ؟)) قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ به ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : **((لاَ حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)).**[4]

- قراءة القرآن بتدبر وتعقل:

---

[1] رواه البخاري (٣٩).

[2] رواه أحمد (٢/ ١٨٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٣١)

[3] مدارج السالكين (٢/ ١٠٨)

[4] رواه البخاري (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

فإن القرآن يهدي للتي هي أقوم ، قال تعالى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء: ٩]

وهو وسيلة من وسائل الثبات والتثبيت على المداومة على العمل الصالح، {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ١٠٢]

وهو الذي ربى الأمةَ وأدبها، وزكى منها النفوس، وصفى القرائح، وأعلى الهمم، وغرس الإيمان في الأفئدة، وفي قراءته تثبيت لقلب القارئ المتدبر لما يقرأ.

- تذكر الموتِ والدارِ الآخرة وقصرُ الأمل

فإن طول الأمل يورث الكسل ، ويقعد عن العمل ، أما ذكر الموت وتقصير الأمل يدفع العبد إلى العمل دفعا ، قال تعالى **{ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ٤٥، ٤٦]**

قال الْحَسَن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذِكْرَ الْمَوْتِ إِلَّا رَأَى ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ ، وَلَا طَالَ أَمَلُ عَبْدٍ قَطُّ إِلَّا أَسَاءَ الْعَمَلَ.[١] **لذلك أرشدنا النبي** ﷺ إلى الإكثار من ذكر الموت فقال : ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)). يَعْنِي الْمَوْتَ .[٢]

فمن أكثر من ذكر الموت نَشَط في عمله، ولم يغتر بطول أمله؛ بل يبادر بالأعمال قبل نزول أجله، ويحذر من الركون إلى الدنيا.

---

[١] الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ٢١٨)

[٢] رواه الترمذي (٢٣٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما ، يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.[1]

- صحبة الأخيار

الذين يعينون على طاعة الله عز وجل؛ فإن الإنسان ينشط للقيام بالطاعة حين يرى أن إخوانه من حوله مقيمون عليها، وقد يشعر بالخجل من نفسه إن رآهم على طاعة وهو مقصر، فلهذا كانت صحبة الأخيار، وأهل الفضل والصلاح الذين إذا رآهم الإنسان ذكَّرته رؤيتهم بالله عز وجل وبطاعته؛ محل اهتمام الإسلام ، قال تعالى : {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨]

قال السعدي رحمه الله : يأمر تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ - وغيرُه أُسوتُه في الأوامر والنواهي - أن يَصبِر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ؛ أي: أولَ النهار وآخِرَه يريدون بذلك وجهَ الله، فوصفَهم بالعبادة والإخلاص فيها، ففيها الأمرُ بصحبة الأخيار، ومجاهدةُ النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى.[2]

- الدعاء وسؤال الله الثبات وطلب العون من الله

---

[1] رواه البخاري (٦٤١٦)

[2] تفسير السعدي (ص: ٤٧٥)

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله : تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الله الْعَوْنَ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.[١]

فإن الله سبحانه قد أثنى على الراسخين في العلم أنهم يسألون ربهم الثبات على الهداية:{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران: ٨]

وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: ((يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)). [٢]

وأوصى رَسُولُ اللهِ ﷺ معاذَ بنَ جبلٍ رضي الله عنه بأن يدعو بعد كل صلاة أن يعينَه ربُّه على ذكره وشكره ، **فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ : لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أن تَقُول : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)).[٣]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: ((رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي)).[٤]

فالتوفيق والعون من الله وحده، وقد أحسن من قال:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

-البعد عن المعاصي

---

[١] مدارج السالكين (١/ ١٠٠)

[٢] رواه الترمذي (**٢١٤٠**) من حديث أنس رضي الله عنه و (**٣٥٢٢**) من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٧١) و (٢/ ١٣٢٣)

[٣] رواه أبو داود (**١٥٢٢**) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٠)

[٤] رواه أبو داود (**١٥١٠**) والترمذي (**٣٥٥١**) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٤٤)

فإن المعصية تجر إلى أختها، والخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجرُّ إلى الكثير. فكم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة ، **وكما إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات.**

قيل لابن مسعود رضي الله عنه : ما نستطيع قيام الليل. قال: أبعدتكم ذنوبُكم.

وقيل للحسن البصري رحمه الله : أعجزنا قيام الليل، قال: قيدتكم خطاياكم. وقال: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل.

قال له رجلٌ : يا أبا سعيد إني أبيت مُعافى وأحبُّ قيام الليل وأعدُّ طهوري فما بالي لا أقوم ؟! فقال : ذنوبك قيدتك!.

وقال الثوري رحمه الله : حُرمتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل : وما ذاك الذنب قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا مراءٍ !.[1]

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محرومٌ مكبَّلٌ كبلتك خطيئتك.[2]

- ثمرات المداومة على العمل الصالح

- سببٌ لزيادة الإيمان

فكل عمل صالح يَزيد الإيمانَ بحسَبِه؛ إن كان صغيرًا أو كبيرًا، قليلاً أو كثيرًا. وكل طاعة تجرُّ إلى غيرها ، **عن عروة بن الزبير** رحمه الله قال : إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة

---

[1] إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦)

[2] غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٠٤)

فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وإن السيئة تدل على أختها.[١]

- المداومة على العمل الصالح سبب لمحبة الله تعالى للعبد ،وكفى بها ثمرةً وكرامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ..... وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)).[٢]

ففي هذا دليل على أن المداومة والاستمرار على العمل الصالح ، سببٌ لمحبة الله تعالى للعبد.

- أنها سبب لتكفير الخطايا والآثام .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟)). قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: ((فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا)).[٣]

- أنها سبب للنجاة من الكرب والشدائد في الدنيا والآخرة .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: ((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ)).[٤]

وفي رواية : ((تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)) .[٥]

---

[١] صفة الصفوة (١/ ٣٤٩)

[٢] رواه البخاري (٦٥٠٢).

[٣] رواه البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧)

[٤] رواه أحمد (١/ ٢٩٣) والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣١٨)

[٥] رواه أحمد (١/ ٣٠٧)

ومعنى هذا أن العبد المؤمن بمداومته على العمل الصالح في حال الرخاء تكون بينه وبين الله تعالى صلة ومعرفة ، تنفعه وتنجيه متى ما وقع في شيء من الشدائد . ها هو يونس عليه السلام ينجيه الله تعالى من الكربات والظلمات بسبب أنه كان مداوما على ذكر الله تعالى وتسبيحه : { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] **والمعنى:** لَوْلَا مَا تَقَدَّمَ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ فِي الرَّخَاءِ.[1]

- دوام اتصال القلب بالله تعالى

وذلك يعطي القلب قوةً ونوراً وثباتاً على دين الله وتعلقا بالله عز وجل، وتوكلا عليه، ومن ثم يكفيه همه{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}. وقد عدَّ بعض أهل العلم هذا الأمر من الحِكَم التي شرعت من أجلها الأذكار ، سواءً الأذكارُ المطلقة ، أو المقيَّدةُ بالأحوال .

- حفظ النفس من الغفلة

وقد ذمَّ الله الغفلة وأهلَها، ونهى عن الاتِّصاف بها؛ فقال: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]

فالمداومة على الطاعات وقايةٌ من الغفلة التي تَقود إلى الهلاك والخُسران، والنفس إن لم تَشغَلها بالطاعة شغلَتك بالمعصية وصدَق من قال:

وما المرءُ إلاَّ حيثُ يَجعَلُ نفسَه ففي صالحِ الأعمال نفسَك فاجعلِ

- ثبوت الأجر عند المرض والسفر

[1] تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩)

إذا داوم العبد على العمل الصالح ، ثم عرض له عذر من مرضٍ أو سفر ، كُتِب له ما كان يعمل حال صحته وإقامته ، **عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا)).[1]

قال ابن حجر رحمه الله : هذا في حق من كان يعمل طاعةً فمُنِع منها ، وكانت نيَّتُه لولا المانع أن يدوم عليها .[2]

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَا مِنَ امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بِلَيْلٍ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلاَتِهِ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ)).[3]

وهذا الفضل من الله تعالى ، إنما يكون فيمن كان له وردٌ يحافظ عليه ، وعملٌ يداوم عليه .

- ومن آثار المداومة على العمل الصالح ، أنها سبب لحسن الختام

لأن المؤمن لا يزال يجاهد نفسه بفعل الطاعات وترك المحرمات، حتى يقوى عزمه، ويستقيم حاله، ويستمر على العمل الصالح حتى الممات { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } [إبراهيم: ٢٧]

- المداومة سبب لدخول الجنة .

---

[1] رواه البخاري (٢٩٩٦)

[2] فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٣٦)

[3] رواه النسائي (١٧٨٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢/ ٢٠٥)

ها هو بلال رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ في الجنة ، **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ ((يَا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ)). قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ.[١]

فأفاد الحديث أن الله تعالى يحب المداومة على العمل الصالح وإن كان قليلاً ، وأنه يجزي عامله بدخول الجنة .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: ((مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ)). فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: ((نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)).[٢]

قال ابن عبد البر رحمه الله : فيه أن من أكثر من شيء عرف به ونسب إليه ألا ترى إلى قوله **((فمن كان من أهل الصلاة))** يريد من أكثر منها فنسب إليها لأن الجميع من أهل الصلاة وكذلك من أكثر من الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى ونسب إليه دعي من بابه ذلك.[٣]

---

[١] رواه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨)

[٢] رواه البخاري (١٨٩٧) ومسلم (١٠٢٧)

[٣] التمهيد (٧/ ١٨٥)

قطوف من بستان الواعظين

حقيقة الصيام

قال ابن الجوزي رحمه الله: ليس الصوم صوم جماعة الطِّغام عن الطعام ، وإنما الصوم صومُ الجوارح عن الآثام ، وصمت اللسان عن فضول الكلام ، وغض العين عن النظر إلى الحرام ، وكفُّ الكفِّ عن أخذ الحطام ، ومنع الأقدام عن قبيح الإقدام.

كلمـــــات عن الاعتكاف

قال الزهري رحمه الله : عجبا للمسلمين تركوا الاعتكاف مع أن النبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله!. فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٨٥)

يا لهُ مِنْ شرفٍ لأهل الإيمان

قال ابن تيمية رحمه الله :

لما كان المرءُ لا يَلزم ويواظب إلا من يحبُّه ويعظمُه؛ كما كان المشركون يعكُفون على أصنامهم وتماثيلهم, ويعكُف أهلُ الشهوات على شهواتهم؛ شرع الله سبحانه لأهل الإيمان أن يعكُفوا على ربهم سبحانه وتعالى. شرح عمدة الفقه (٢/ ٧٠٧)

وقال ابن القيم رحمه الله : **من لم يَعْكُفْ قلبُهُ على الله وَحدَه عَكَفَ على التماثيلِ المتنوعةِ كما قالَ إمامُ الحنفاءِ لقَوْمِه ((مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ))**. الفوائد لابن القيم (ص: ١٩٦)

قال ابن رجب رحمه الله :

الخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد ... فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقي له هَمٌّ سوى الله وما يرضيه عنه.

فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق

وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال كان بعضهم لا يزال منفردا في بيته خاليا بربه فقيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني. لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٩٠)

عكوف القلب على الله

قال ابن القيم رحمه الله :

لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفا على جمعيته على الله، ولَمِ شَعَثِه بإقباله بالكلية على الله تعالى، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه. زاد المعاد (٢/ ٨٢)

ثمرات الاعتكاف

إِذا طلع نجم الهمة فِي ظلام ليل البطالة وَردفهُ قمر الْعَزِيمَة أشرقت أَرض الْقلب بِنور رَبهَا. الفوائد لابن القيم (ص: ٥١)

- تحقيق الإخلاص والتربية عليه
- تقوية الصلة بالله واللجوء إليه ومناجاته
- التربية على التخلص من فضول المباحات
- تربية النفس على العبادة من قيام وذكر وقراءة قرآن.....

- التربية على الصبر ومجاهدة النفس وحبسها على الطاعة
- التربية على محاسبة النفس
- التربية على الأنس بالله والخلوة به
- التربية على المحافظة على الأوقات وعدم تضييع الثواني
- التربية على الجدية والعزيمة القوية
- تفعيل ملكة التفكر والتدبر من خلال
- تعويد النفس على ملازمة الأخيار والانتفاع بصحبتهم
- أحياء سنة عظيمة من أعظم السنن التي هجرها كثير من الناس وهي سنة الاعتكاف.

هدي النبي ﷺ في الاعتكاف

- وهديه ﷺ في الاعتكاف كان أكمل هدي وأيسره .
- كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة، فقضاه في شوال.
- اعتكف مرة في العشر الأول، ثم الأوسط، ثم العشر الأخير يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخير، فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل.
- وكان يأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بربه عز وجل.
- وكان إذا أراد الاعتكاف صلى الفجر ثم دخله.
- وكان يعتكف كل سنة عشرة أيام، فلما كان في العام الذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوما.
- وكان إذا اعتكف دخل قبته وحده.
- وكان لا يدخل بيته في حال اعتكافه إلا لحاجة الإنسان.
- وكان يخرج رأسه من المسجد إلى بيت عائشة، فترجله، وتغسله وهو في المسجد وهي حائض.

- وكانت بعض أزواجه تزوره وهو معتكف. فإذا قامت تذهب قام معها يقلبها إلى باب المسجد.

- ولم يباشر امرأة من نسائه وهو معتكف لا بقبلة ولا غيرها.

- وكان إذا خرج لحاجته مرَّ بالمريض وهو على طريقه، فلا يعرج عليه ولا يسأل عنه. زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٨٤)

ليلة القدر

فضلها ومكانتها

ليلة القدر تلك الجوهرة الثمينة التي يتسابق للظفر بها الصائمون ويتنافس في التنقيب عنها القائمون.

ولقد وزنت هذه الليلة بألف شهر فرجحت عليها ؛ قال تعالى: {ليلة القدر خير من ألف شهر }.

مفاتيح الفوز بليلة القدر

- المفتاح الأول: معرفة ثوابها وتصور عظيم الأجر لمن قامها واجتهد فيها

- المفتاح الثاني: تحريها ومراقبة علاماتها

- المفتاح الثالث: الاجتهاد فيها والإكثار من القيام وعدم تضييع لحظاتها الثمينة

- المفتاح الرابع : الإخلاص فيها واحتساب الأجر عند الله

كيف تستطيع عبادة الله في كل ساعة من ساعات ليلة القدر ؟

الجواب :

لو قيل لك أنك في ساعة واحدة فقط تنال أجر عبادة تسع سنوات وثلاثة أشهر فهل تفرط !؟

هل تعلم أن عبادة الساعة الواحدة في ليلة القدر تعدل ثواب عبادة تسع سنوات وثلاثة أشهر في هذا العام إذ أن الليل تسع ساعات تقريبا.

فاجتهد من أول ساعة فيها وحدّث نفسك أنها ستفوز بعبادة تسع سنوات وثلاثة أشهر وهكذا الساعة الثانية والثالثة.

ملحوظة مهمة:

الليلة تبدأ من أذان المغرب إلى طلوع الفجر ، فجد واجتهد من أولها حتى نهايتها .

- نوّع في العبادة ما بين صلاة ودعاء وتلاوة وذكر.
- تذكر أنها أُخفيت عنا فمعنى هذا لابد من الاجتهاد في جميع الليالي .
- تذكر أثر العبادة على قلبك ، وكيف هي سبيل لصلاح نفسك .
- استعن بالله ولا تركن لنفسك .
- كن جادا غير مجامل لغيرك حتى ولو كان رفيق اعتكافك .
- تذكر أنها لن تعود إلا بعد عام .

ختام رمضان والعيد

- زكاة الفطر ، وهي صاع من طعام ويبلغ قدره بالوزن : كيلوين وأربعين جراماً من البر الجيد .
- التكبير في عيد الفطر يبدأ من غروب شمس ليلة العيد إلى صلاة العيد.

ومن الصفات الواردة في التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

- صلاة العيد . وقد أمر بها النبي ﷺ أمته رجالاً ونساء مما يدل على تأكدها.
- والسنة : أن يأكل قبل الخروج إليها تمرات وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر.
- ويسن للرجل أن يتجمل ويلبس أحسن الثياب.

- وأما المرأة فإنها تخرج إلى العيد غير متجملة ولا متطيبة ولا متبرجة.
- ويسن أن يخرج إلى مصلى العيد ماشياً لا راكباً إلا من عذر كعجز وبُعْد مسافة.
- وينبغي مخالفة الطريق بأن يرجع من طريق غير الذي ذهب منه .
- التهنئة بالعيد : تقبل الله منا ومنك

تنبيهات مهمة على أمور تحصل في يوم العيد

- العيد مناسبة طيبة لتصفية القلوب , وإزالة الشوائب عن النفوس.
- صلة الرحم فريضة وأمر حتم , وقطيعة الرحم كبيرة من كبائر الذنوب.
- مصافحة الرجال للنساء الأجانب لا تجوز وهي عادة قبيحة مذمومة.
- الحذر من الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء الأجنبيات.
- لا يجوز للمرأة أن تخرج إلى الرجال متبرجة متزينة متعطرة.

من واحة الشعر الدعوي

يا راجِيَ الناسِ ربُّ الناسِ موْجـودُ فالْجَأْ إليْهِ فمِنْهُ الفضْلُ والجُـودُ
واقْصُدْهُ دوْماً تجِدْ في بـابهِ فَرَجاً والخيْر في ساحهِ والعفْو ممْـدودُ
هل تسْأل الناسَ يا ذا العقْلِ مُرْتَجِياً وكُلُّ شيءٍ إلى الرحْمـنِ مرْدودُ!!
يا راجِيَ الخلْقِ في خوْفٍ وفي أمَلٍ لا يُقْصَدُ الخلْقُ والخلاّقُ مقْصـودُ
لا تسْألِ العبْدَ يا نَوْمـانُ مكْـرُمَةً من يبْتَغِ الفضْلَ عِنْدَ العبْدِ مصْـدودُ
بابُ الكريـــمِ لِمن ناداهُ مُنْفَتِحٌ على الدوامِ وبابُ الناسِ موْصـودُ
فارْجعْ لِموْلاكَ في عُسْرٍ وفي يُسْـرٍ منْ يقْصدِ اللهَ في الحالَيْنِ مسْعـودُ